جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

شعبة الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر أكاديمي فلسفة عامة

ميدان: العلوم الاجتماعية

تخصص: فلسفة عامة

مفهوم الحرية عند هنري برغسون

من إعداد الطالبة:إشراف د/أ:

- باعيسى زينب - بن غزالة محمد الصديق

أعضاء اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
أ. د.رياض طاهير	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
د. بن غزالةمحمد صديق	أستاذ محاضر أ	مشرف ومقررا
د.بن قويدر عاشور	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية 2025/2024

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

شعبة الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر أكاديمي فلسفة عامة

ميدان: العلوم الاجتماعية

تخصص: فلسفة عامة

مفهوم الحرية عند هنري برغسون

من إعداد الطالبة:إشراف د/أ:

- باعيسى زينب - بن غزالة محمد الصديق

أعضاء اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
أ .د.رياض طاهير	أستاذ تعليم العالي	رئيسا
د. بن غزالةمحمد الصديق	أستاذ محاضر أ	مشرف ومقررا
د.بن قويدر عاشور	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية 2025/2024

بسم الله الرحمن الرحيم

* الشكر والعرفان *

الشكر لله (قل ﷺ)"من لا يشكر الناس لايشكر الله"
أتوجه إلى الله عز وجل خالقي والمنعم علي بنعمته التي لاأحصيها بالحمد والثناء الذي يليق بجلالته وعظمته إذ وفقني الى إنجاز هذا العمل
أتقدم بتحية شكر وتقدير وعرفان إلى الأستاذ الفاضل المشرف"د: بن غزالة الصديق "
حفضه الله وورعاه والذي تفضل بكرم الإشراف على هذه الرسالة حيث لم يبخل عليا بتوجيهاته ونصائحه وإرشاداته القيمة والنافعة فقد كان نعم العون والسند ، فأسال الله أن يبارك في علمه وصحته
كما أتقدم بالشكر والتقدير والإحترام إلى الأساتذة اللجنة المناقشة الدكتور بن قويدر عاشور والدكتور رياض طاهير حفضهم الله ورعاهم
ولا أنسلى أن أشكر كل من ساعدني وساهم في إعانتي والوقوف بجانبي لتخطي الصعوبات التي مررت بها ، وعلى رأسهم والدي العزيزين أطال الله في عمرهما والى أخواتي رفقاء دربي

* إهداء *

الى من وفقني في جميع الخطوات ولي ما في قلبي من دعوات من عالي سبع السمواتجل جلاله
والى نبي الرحمة وهدى الامة سيدنا وحبيبنا محمد "ﷺ"
الى من تحت أقدامها الجنات وفوق رأسها أجمل محطات القبل أمي يا نبع الحنان والوئام ياشمعة حياتي
الى من تعب من أجل راحتي أبي ياسندي ومسندي وقدوتي ويا رفيق دربي
إلى من قاسموني حلو الأيام ومرها تحت سقف واحد أخواتي يا رياحين حياتي وأعزائي
الى من رسموا من الدموع ألف ابتسامة ينابيع الصدق ورفقاء الدرب التاركين لحظات الوفاء والعون صديقاتي *روميساء *دنيا سلا* نجاة* منار *

المقدمة

المقدمة:

من اعقد المشكلات التي واجهها الفكر الفلسفي عبر تاريخه القديم والحديث والمعاصر مشكلة الحرية ، لان تأمل فكر كل فيلسوف حتما يقتضي طرح سؤال الحرية ومحاولة الإجابة عليه والتي ستكون حتما مقدمة للإجابة عن باقي التساؤلات الفلسفية لذلك يعد سؤال الحرية كما يقول زكريا ابراهيم في كتابه "مشكلة الحرية "مفتاح المشكلات الفلسفية جميعا وتتبع الإجابات المقترحة من الفلاسفة عبر تاريخ الفلسفة نفسه تحيلنا الى إجابات متباينة تصل الى حدود التناقض بين الطرح الذي ينفي الحرية نفيا مطلقا ، ومن يثبتها إثباتا تاما بل حتى محاولة تصور الحرية خلق تصورين متعارضين التصور الميتافيزيقي والتصور الواقعي او ما يطلق عليه بالتحرر المرتبط بالفعل الذي نمارس به حريتنا.

وأيضا تتحدد صعوبة البحث في الحرية لأنه سؤال خاص بالحرية كمشكلة وفي نفس السياق يتداخل مع التساؤلات الفلسفية الأخرى فمثلا من الجانب الديني تطرح مساءل الجبر والإختيار وما يتصل بها من مساءل كلامية كما يتداخل سؤال الحرية مع موضوعات الاخلاق والعلوم الاجتماعية بل إن فلسفات بعينها ونقصد الفلسفة الوجودية والتي تجعل من الحرية دراسة للوجود الانساني بأكمله حين يصبح وجود الانسان في حد ذاته ويبرز ماهيته هو وجود حر بالضرورة.

ومن الفلسفات المعاصرة التي تناولت الحرية كموضوع للتحليل نجد فلسفة الفيلسوف الفرنسي برغسون والذي نزع نزعة نفسية وروحية في كلامه عن الحرية معارضا الاتجاه العقلي والتجريبي المادي الذي اتسمت بهما الفلسفة الحديثة لذا البعض يرى في الفلسفة البرغسونية انها بداية للفلسفة المعاصرةواتجاها نقديا بارزا لكل مسلمات الاتجاه العقلي والمادي في الفلسفة وقد جاء بحثنا عن الحرية من خلال طرح الإشكالية التالية ماهو مفهوم الحرية عند هنري برغسون؟

ظهرت الإرهاصات الاولى لفكرة الحرية عند برغسون من خلال نقده للتصورات الميكانيكية والسببية في التصور الكلاسيكي للحرية . وربطه الحرية

بالتجربة الزمنية الداخلية الذاتية والتعبير عن الذات العميقة.حيث ربط الحرية بالإبداع الحيوي والإنفتاح على المستقبل .

فبرغسون ينطلق في مفهومه للحرية من نقطة أنها يجب أن تبدأ بممارسة الفيلسوف لها ،ليتحرر من التصور العلمي وليست هذه النظرة كما تبدو للوهلة الأولى سوى محاولة سلبية تقف عند مستوى المنهج وطريقة التفكير فحسب. أوترتقي إلى تلك الحرية الإيجابية الفعالة. ولكن باعتقاد برغسون فإن هذه الحرية السالبة تقودنا الى حرية إيجابية حقيقية حيث تكشف لنا عن الزمن الحقيقي مجال الفعل الحر .ومستوى التحرر الذي يدل على قدرة حقيقية إيجابية تتطلب جهدا شاقا متواصلا . لإنها تقتضي أولا أن نتخلص من التصورات العلمية كذلك التصورات العامية المتأثرة بها. وبذلك نستخلص من العادات العقلية ومن العادات الإجتماعية .وإذا تمكنا من التخلص من هذه الامور استطعنا أن ندخل ميدان النفس الحق. وأن نعود الى حياتنا الباطنة لنتابعها في ديمومتها وحريتها.

ولتحليل الإشكالية وما اتصل بها من تساؤلات في الفصول إستعنا بالمناهج التالية:

المنهج الذي إعتمدته في موضوع مفهوم الحرية عند هنري برغسون هو المنهج التحليلي فقد قمت بتحليل وتفكيك وتفسير أفكار برغسون فهي تتميز بالتعقيد والصعوبة. فبرغسون يعد من الفلاسفة الذين رفضوا التصورات العقلانية والحتمية السائدة حول الحرية فهو بدوره أعاد بناء مفهوم الحرية وسعى الى توظيف العديد من المناهج الفلسفية التي تتسم بالدقة واليقين وهي مناهج متنوعة ومتعددة ونجد أول هذه المناهج هو المنهج الحدسي والذي يعتبر جوهر الفلسفة البرغسونية وجوهرها الرئيسي يتعلق بفهم الواقع المتغير فالحرية هي لاتفهم بواسطة التحليل العقلي أو القياس المنطقي بل من خلال الحدس أي التعمق والغوص في التجربة الشعورية الداخلية واستبطان تدفق الزمن الحي

وهذا يحيل أن الحرية فعلا يصدر من الذات لا من الإختيار العقلاني بين البدائل .والى جانب الحدس فنجد أن برغسون كذلك يعتمد على المنهج النقدي فهو يقوم بتحليل التصورات التقليدية للحتمية

أهداف الدراسة في مفهوم الحرية عند برغسون

تسعى وتهدف هذه الدراسة لموضوع الحرية عند برغسون الى تفسير مفهوم الحرية في فلسفته فالحرية عنده تعد من المفاهيم الرئيسة التي قام برغسون بإعادة صياغتها وهذا انطلاقا من مفهوم الجديد للزمن والوعي والتجربة. فهذه الدراسة تتضح لنا ما تمثله الحرية في نظر برغسون حيث أنها تتمثل فعلا داخليا يصدر من الذات البشرية المتجددة فالحرية ليست مجرد اختيار عقلاني .وكذلك تهدف هذه الدراسة الى إبراز الطابع الحدسي والزماني للحرية وذلك من خلال تفسير العلاقة بين الحرية والزمن.

إشكالية دراسة مفهوم الحرية عند برغسون

يعتبر موضوع مفهوم الحرية عند برغسون من المفاهيم الفلسفية التي تثير الجدل وهذا من خلال ترابطه وتشبهه مع قضايا الوعي والزمن والإرادة والاخلاق . فنجد أن الفلسفة العقلانية سعت الى تفسير أفعال الانسان . وفي المقابل فهي لم تعطي القيمة الى البعد الحي للحرية فهي ترده الى مجرد وهم عقلاني فبرغسون أعاد صياغة مفهوم الحرية فقد وصفها بفعل يصدر من الذات ومن تدفق الزمن الداخلي ومن هنا نحدد الإشكالية العامة لموضوع مفهوم الحرية عند برغسون فيما يلي :

كيف قام برغسون ببناء مفهوم الحرية خارج إطار العقلانية وما المنهج الذي إعتمده في تأسيس مفهومه للحرية بوصفها فعلا حيويا يصدر من الزمن الداخلي للذات ؟

الأسباب التي دفعت بي لإختيار الموضوع

هو من حيث الأهمية التي يكسبها على جميع مستويات العلم باعتبار العلم من اهم النقاط الاساسية التي اثبتت لنا حقيقة الوجود الإنساني من جهة ومن جهة اخرى وجود العالم .

وكذلك من أسباب اختيار الموضوع حيث يعد إختيار موضوع مفهوم الحرية عند برغسون كموضوع دراسة قائم بذاته ويخضع لعاملين أساسين الا وهما الأول العامل الذاتي والثاني العامل الموضوعي

1) بخصوص العامل الأول:هو كوني طالبة وملتهمة بالبحث العلمي واهتمامي بالفلسفة برغسون ومن جهة أخرى هو الإطلاع ومحاولة فهم فلسفة برغسون وخاصة موضوع الحرية عنده..
2) الجانب الموضوعي: يتمثل في أهمية دراسة هذا الموضوع من الجانب العلمي والكم المعرفي في هذا الموضوع وله صدى بارز وكبير وعميق داخل الفلسفة بصفة عامة وأيضا التعمق أكثر في فلسفة برغسون .

التساؤلات

1. ماهي أهم الافكار التي قدمها برغسون في موضوع الحرية ؟
2. كيف تبنى الحرية كتجربة داخلية لا كخيارعقلاني ؟
3. كيف قدم برغسون مفهومه للديمومة ؟
4. ماهو الأصل الأول لمفهوم الديمومة عند برغسون؟
5. ماعلاقة الحرية بالزمن والشعور بالمدة في فلسفة برغسون ؟
6. وقد اعتمدت الخطة التالية :

المقدمة:في المقدمة حاولت أن أمهد للموضوع . وأن أبرز دوافع البحث والمشكلة التي يعالجها وأسباب التطرق لها

الفصل الأول:العوامل المساهمة في نشأة الفلسفة البرغسونية

المبحث الأول :خصصته لموقف برغسون من الفلسفة العقلية والمعرفة العلمية عند برغسون بصفة عامة . أي تصور برغسون لمفهوم الفلسفة العقلية والمعرفة العلمية

المبحث الثاني: خصصته لمعرفة موقف برغسون من الوضعية والتطورية

الفصل الثاني:مفهوم الزمان والديمومة والحرية عند برغسون

المبحث الأول:قمت بتوضيح مفهوم الزمان عند برغسون

المبحث الثاني:الحدس والحرية عند برغسون وأشرت إلى توضيح الأبعاد المنهجية التي اعتمدها برغسون خاصة المنهج الحدسي لفهم الحرية باعتبارها تجربة داخلية لا تختزل في المفاهيم التجريدية أي الحدس ضد العقل المجرد

وخاتمة تم تلخيص فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال الدراسة

اهم الصعوبات التي واجهتني

من بين الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث هي صعوبة فهم الفلسفة البرغسونية التي يتخللها الغموض في بعض المفاهيم التي تتسم بالرمزية

أهمية الموضوع

تكمن أهمية هذه الدراسة من خلال الكشف عن أفكار برغسون ومعرفة موقفه من مفهوم الحرية

الفصل الاول: العوامل المساهمة في نشأة الفلسفة البرغسونية

المبحث الاول: موقف برغسون من العقل والمعرفة العلمية

المبحث الثاني: موقف برغسون الوضعية والتطورية

تمهيد :

لا تنشأ أية فلسفة إلا وكانت مرتبطة بالبيئة التي تعيش فيها والفلسفة البرغسونية ليست استثناءا ، لقد ورث الفكر الفلسفي المعاصر ارثا من الفلسفة الحديثة ويتقدمه أفكار المذهبين العقلي والتجريبي بكل مسلماته ومنها الإيمان بالعقل وما ينتجه من علوم وبأن الحقيقة تكمن في عالم المادة وأن تفسيرها يقتضي الالتزام المطلق بمبادئ السببية والحتمية حتى انعكس ذلك على مفهوم الانسان ذاته الذي أصبح ينظر اليه نظرة مادية وأختزل وجوده في هذا التصور الميكانيكي وهو ما ساهم في ظهور النزعة الروحية التطوري.[1]

لقد كان لهذه الافكار تداعيات خطيرة على مفهوم الحقيقة وهو ما ساهم في ميلاد اتجاه جديد في الفلسفة المعاصرة يسمى بالاتجاه الحيوي ولعل من ابرز ممثليه نجد فلسفة برغسون* وهي فلسفة يمكن عدها ثورة في الفلسفة المعاصرة لان برغسون لم يشأ أن تكون فلسفته مجرد تحليل لما انتجته الفلسفة الحديثة إنها في صميمها ثورة نقدية عملت على تفكيك أخطاء المعرفة السابقة عليها لذا إمتا جهده بسمة النقدية وفي مقدمة ذلك نقد النزعة العقلية والتجريبية المادية لأنه اكبر العقبات التي تقف أمام فهم اهم المشكلات الفلسفية التي تقتضيها التفسيرات الروحية المتناسبة واتجاهه الفلسفي .[2]

---

*[1]مذهب فلسفي معاصر وضعه برغسون تغلب عليه النزعة الروحية ، ويقوم على التطور الخلاق ، ويعد رد فعل على النزعة المادية في أواخر القرن الماضي وهو إلى حد ما ضرب من الأفلوطينية الممتزجة بنظرية التطور من جانب ، والتصوف المسيحي من جانب آخر ، وتعتمد فلسفة برغسون على الحدس ،والحدس بالديمومة محورها ، والديمومة الأصل الأول لجميع مظاهر التطور التي تتم تدريجيا وفي اتجاهات مختلفة)المعجم الفلسفي (القاهرة : مجمع اللغة العربية الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، 1983) ص 32

[2]وقد أظهر برغسون تأملاته في اربع كتب على الخصوص وهي تدل على منحى تطوره الروحي ذلك أن كتابه الأول" رسالة في المعطيات المباشرة للوعي "ظهر عام 1889 يحتوي على نظريته في المعرفة بينما يعرض كتابه المادة والذاكرة ظهر عام1886 نظريته في علم النفس ويعرض التطور الخلاق ظهر 1907ميتافيزيقاه المؤسسة على البيولوجيا التأملية وفي كتابه الأخير منبعا "الأخلاق والدين"ظهر عام 1932 يعرض نظريته في الأخلاق وفلسفته الدينية

الفلسفة المعاصرة في اوروبا ص 144

المبحث الأول: موقف برغسون من العقل والمعرفة العلمية:

إن نقد **برغسون** للفلسفة العقلية لا يجب أن يفهم منه أنه ضد العقل فبرغسون لا ينفي العقل وإنما يرى أنه يجب معرفة الحدود التطبيقية له فحسب برغسون العقل ليس الوسيلة الوحيدة المؤدية إلى إدراك الحقيقة كما كان يقول ديكارت وهو "... كل مايختلج فينا بحيث ندركه بأنفسنا إدراكا مباشر"[1]

وهذا يعني أن الفكر يحتوي على كل مانستطيع الشعور به أو حتى مجرد التفكير به أو نفكر فيه بداخلنا، وهذا يشترط أن نستطيع إدراكه وحدنا وبأنفسنا بشكل بديهي ومباشر ويسمى هذا الإدراك المباشر و البديهي بالحدس البديهي وهو بمثابة الطريق الصحيح والصواب لعقولنا في الوصول الى الحقيقة وتكون من دون إجراء تجربة أو حتى أن نقوم بلإ ثبات الخارجي ،وبطبيعة الحال لان العقل البشري لايخطى ولا يقبل الأفكار التي يتخلله الشك وكذلك لايخطى خاصا عندما يدرك ويعرف الامور بوضوح وهذا لأن العقل البشري فيه أفكار تتسسم بالوضوح فهي موجودة فيه من الاساس فهو يستطيع أن يخشع بنفسه من غير أن يحتاج إلى تجربة مسبقة خارجية وهذا الإدراك صحيح مادام واضح ومتميز.

وهذا يفيد أن دور العقل عند برغسون موكول الى المعرفة من طراز خاص يجعله يتجه الى العالم الخارجي عالم الأشياء والمادة حيث يكون المكان الحسي والامتداد لكن ليس له القدرة على معرفة ما هو روحي لذا جاءت نظرة برغسون الى العقل على أنه وسيلة للمعرفة تستعمل منهجا استدلاليا برهانيا وهو ما يتوافق مع مبادئ الحتمية والسببية التي تحكمه وفي نفس الوقت هي مبادئ للعقل ذاته يقول برغسون إن " العقل على انه غير قادر على معرفة الوجود من حيث هو تغير وصيرورة ومعرفة حقيقة مهما حاول إلى ذلك سبيلا ويرى أن:

"....أن عقلنا المعجب بنفسه إعجابا لا سبيل إلى شفائه منه"[1]

أي أن الانسان يثق في عقله وفي أفكاره ثقتا عميا ومطلقة و تصدر هذه الثقة من وهم ميتافيزيقي بأن العقل البشري لديه ثقة في ذاته وأن أفكاره تجعله يصل الى

[1]برغسون هنري : التطور المبدع ترجمة جميل صليبا اللجنة اللبنانية ، لترجمة الروائع : بيروث 1981، ص48

الحقيقة والصواب بمعنى أن أفكاره بديهيه واضحة بمجرد التفكير فيها ،فالعقل يوصف بالمصدر الاوحد للمعرفة فلا حاجة الى التشكيك أو حتى المراجعة لان كل أشياءه وأدواته المعرفية فطرية أو مكتسبة تجعله يكسب الجوهر الحقيقي للواقع والأشياء،فالحقيقة متواجدة في عقل الانسان فهو قادر على إدراكها دون تجريب مسبق ،فالعقل عند إعجابه بنفسه يفضح غروره به ويصرح أن الحقيقة والصواب لا يمتلكها عقل يتوهم بعدم صحتها وكمالها بل الحقيقة تعد مشروع شامل وواسع يتطلب التعدد والانفتاح .

إن البحث العقلي عن الحقيقة حسب برغسون يجب ان يتوافق مع المنهج العقلي الإستدلالي القائم على تفكيك الاشياء والتفكيك يؤدي الى تتابع الاشياء في الزمان وهو ما يتوافق مع مبدا الحتمية والسببية .

اما إذا اقتضى الحال الغوص في موضوعات الروح مثل الحرية والديمومة فهل العقل بهذه الخاصية يمكن ان يكون اداة لفهم كل الحقائق" يرى برغسون أن العقل تحليلي بطبيعته أي أنه قادر على تحليل كل نظام الى قوانينه "[1]

بمعنى أن العقل بطبعه تحليل فهو يحلل ويفسر ويفكك الأفكار و الأشياء المعقدة الى أجزاء بسيطة لكي يسهل فهمها فهو يحلل ويعيد تركيب الافكار وتنظيمها بشكل منطقي ، فالعقل عنده يتميز بالوضوح والدقة ويفكر بطريقة منظمة ويستطيع التمييز بين الاشياء المعقدة والصعبة ويفرق بعضها البعض ليسهل فهمها وإدراكها إدراكا مباشر دون إي واسطة ويزيل الغموض وذلك بالتحليل والتفسير وإزالت الستار عن الحقيقة والواقع لتتضح الامور وتصبح بديهية وواضحة في الواقع ولا يتخللها الشك أو مجرد التفكير بعدم صدقها وكذبها .

إن العقل لا يقوى على ان يقول كلمته لسبب واحد هو أن طبيعة المعرفة او الحقيقة التي يبحث عنها لا تتوافق والمنهج الاستدلالي العقلي ولما كانت المادة الصلبة ممتدة .حيث كانت تعرض لنا موضوعات منفصلة تماما فهي باءمكانها أن تتجزأ وان تنقسم إلى اجزاء اخرى .

---

[1] إ.م.بوشنسكي : ، الفلسفة المعاصرة في أروبا ، ، ترجمة: د. عزت قرني صدرت السلسلة في يناير 1978بأشراف أحمد مشاري العدواني 1923_1990 ص 146

"فاءن العقل لا يتصور بوضوح الا الممتد والمنفصل والسكون "[1]

أي:أن العقل البشري يستطيع أن يدرك الاشياء من حوله ، فهو بطبعه يفهم الاشياء التي يكون لها حجم وشكل ومتضح يعني التي لها مكان في الواقع الممتد ويحيلنا كلمة منفصل الى الاشياء التي نستطيع تميزها عن غيرها من الاشياء، أما السكون فهو يحيلنا الى الأشياء التي لاتتحرك أي ساكنة هذا على عكس المادة الصلبة التي يمكن للعقل معرفتها وإدراكها لإنها ببساطة العقل يدرك الشكل الواضح والمنفصل والثابث.

فهو لايستطيع ولا قدرة له على فهم الحركة والديمومة وكدلك التغير .حيث يقول برغسون "ان الصفة التي يتميز بها العقل هي عجزه الطبيعي عن ادراك الحياة "[2] بمعنى أن العقل البشري يتميز بالقوة والقدرة على التفسير والتحليل والتفكير ،وكدلك يوجد عنده حدود طبيعية، المتمثلة في عدم قدرته عن فهم الواقع والحياة في وجودها الحقيقي ،فالعقل يعتبر تطور لفك الغموض عن الحياة بشتى تعقيداتها وصعوبتها فهو بمثابة وسيلة لمساعدة الانسان في التـــأقلم مع العالم المادي ولحل المشكلات اليومية وترتيب الافكار فالعقل ينظر الى الحياة مثل سلسلة من اللحظات الثابتة فهي في حقيقة الامر في تغير مستمر ،فالعقل لا يخشع لتطور الحياة كما هي.

ان تطور الحياة في رأي"برغسون " قد وهب العقل طبيعة فطرية تمكنه من ادراك الصور من حيث هي الاطار الخارجي للمادة ويتجلى الجانب الفطري في العقل في نزوعه الى الربط بين الاشياء بعلاقات والى استنباط المجهول من المعلوم وهو ما يعني انه لا وجود لحدس عقلي في نظر "برغسون " على الاقل بل العقل يقوم دوما بالإستدلال الذي يعد جزء ا لا يتجزا من عمله . ويدل هدا النزوع على وجود ماهو فطري طبيعي في العقل لمعرفة بعض العلاقات العامة

[1]هنري برغسون :التطور المبدع ،ترجمه من الفرنسية الى العربية ،جميل صليبا ،اللجنة اللبنانية، لترجمة الروائع بيروت 1981،،التوزيع الشرقية،ص.ب1982،بيروت.لبنان ،ص 143

[2]هنري برغسون : التطور المبدع ،مصدر سابق، ص 151

فضلا عن ان تكوينه مفطور على التأثير في المادة من الخارج . مما يمكنه من الانتفاع بها.

هذا يعني ان الحقيقة التي يسعى إليها العقل ولأنها تتأسس على منهج استدلالي برهاني يمكن تسميتها بالحقائق العلمية لذا كان من الطبيعي ان يكون المنهج العقلي والفكر العلمي متحالفين او على الاقل في اتجاه واحد ومن طبيعة واحدةويوضح لنا برغسون الإتجاه الطبيعى للعقل فيقول إن العقل يلجأ إلى إفراز تصورات شاحبة قد غادرتها الحياة ." ذلك أنه لما كانت السورة الحيوية vital elanقد أعدت العقل للتصرف في المادة الجامدة "[1]

أي أن العقل عند برغسون يصفه بأنه وسيلة قامت بتطويرها وبناءها السورة الحيوية،فهي ليست مستعدة لإلمام بجوهر الحياة ولكن هو مستعد الى الاحاطة نحو الثبات ، فالعقل لايستطيع مواكبة الحياة والواقع ، فا من هنا يشترك الفكر العلمي والعقلي في آن واحد ،حيث نجد انهما لهم نفس التصور فهما يقومون ببناء تصور اصطناعي جديد ،فالعقل ينتج ويصمم لنا كيفية التعامل مع المادة.

وكان بين العقل والعالم الخارجي او عالم الأشياء التي يتجه اليها العقل لتحليلها ضرب من التعاطف وكأن كل طرف صورة للأخر الأمر الذي يجعل من العقل الوسيلة الوحيدة القادرة على التعبير عن حقائق هذا العالم المادي لكن ماهو السبب الذي منح انفصال العقل عن الجانب الروحي.يقول برغسون "إن عملية واحدة هي التي فصلت المادة والعقل داخل نسيج كان يحويهما معا "[2]

وهذا يحيلنا الى أن العقل والمادة لايتميزان بالإنفصال الأول على الأخر بل في حقيقة الامر يمثلن شيء واحد وغير منفصل فهما نسيج متكامل فالأول يكمل الأخر ،ولكن مع تطور وإزدهار الواقع والحياة طرأ بينهما نوع من التقسيم والتفريق والتميز بين الجانبين فأدى هذا الى انفصال المادة على العقل والعكس ، فالعقل هو وسيلة لتطور والتقدم لكي يستطيع ويسهل للإنسان كيفية التعامل مع

---

[1] مراد وهبة : المذهب عند برغسون ، منتدى سور الأزبكية،دار وهران للطباعة والنشر ،ت،32.5.90.الطبعة الثانية 1987، مكتبة الانجلو المصرية ،ص 55

[2] مراد وهبة المذهب: عند برغسون، مرجع سابق ص . 56

الواقع والعالم المادي والخارجي ، فهو يختص في فهم الامور المادية سواء كانت ثابتة أو منفصلة أو قابلة للتقسيم ،فالعقل يحلل ويفسر الاشياء لتكون سهلة الفهم في العالم المادي ولكن هو محدود عند إرتبطه بالحياة والروح وهو امر مشروع لكن نزول المنهج العقلي الى موضوعات جديدة من طبيعة مختلفة وتحليلها يقتضي منا حسب برغسون استبدال المنهج الاستدلالي العقلي بمنهج جديد يتوافق وطبيعة الحقيقة الروحية التي نبحث فيها فالعقل يبحث عن الحقيقة الثابتة بينما عالم الحياة والشعور متغير لذا اسقاط المنهج الاستدلالي ليس فقط غير مناسب بل لن يقوى على الوصول إليها إنه أكثر من ذالك يقتلها خاصة حين نبحث عن موضوع مثل الحرية فالمنهج المناسب هو المنهج الحدسي.

المبحث الثاني:موقف برغسون من الوضعية والتطورية

إن الاتجاه الروحي البرغسوني الذي يسعى إلى إدراك الحقيقة في عمقها الانساني الحي يرى في النزعة التجريبية وما يتصل بها من مسلمات المادة والالية أنها غير كافية بل وقاتلة لإدراك دلالات الحقيقة الروحية منها حقائق الوعي والروح لذا جاء نقده للنزعة الترابطية في علم النفس والتي يفهم ويحلل مفهوم الشخصية الى حيث تجعل منها تجميع لعناصر حسية ليتحول السلوك الى مجرد رد فعل الي.

"ومن هذا التقدم تولدت الفلسفة الوضعية"[1] وتعني هذه الاخيرة أن التقدم بمثابة تطور وإزدهار فهو الذي دفع الإنسان إلى إعتقاد أن كل ماحوله من معارف وأفكار يمكنه تفسيره وتحليله بأسلوب يكون علمي دقيق ويقيني ،هذا هو السبب الذي أدى لظهور "الفلسفة الوضعية "والتي ترمي الى أن المعرفة الصحيحة والحقة هي المعرفة التي تنبع من التجربة الحسية وهذه التجربة نستطيع أن نقيسها ونجري التجريب عليها وترفض الاشياء المجردة أي الغير قابلة للقياس والاختبار وهذا مايقصد بالتقدم الذي أدى الى ظهور الفلسفة الوضعية.

[1]غيوة فريدة :الديمومة عند برغسون ،معهد العلوم الاجتماعية ،جامعة منتوري ،قسنطينة،العدد ،99-85.(1998)10 ص86

وهذا التصور المادي اول ما ينكره انكار الأنا لأنه ليس من طبيعة مادية يقول برغسون " إن المذهب الترابطي يختزل الأنا إلى ركام من وقائع الوعي ومن الاحساسات والعواطف "[1]

إذن برغسون في هذا الطرح ينفي وبشدة الفهم المادي أو مايسمى "بالترابطي للانا"حيث أن هدا الأخير يقوم بدوره بإختزال الذات وتحويلها إلى مجرد مجموعة كبيرة من الافكار والحقائق وكدلك الاحاسيس وأيضا العواطف ، ويفهم من ذلك أن الأنا أو الذات الإنسانية لاتعتبر فقط أداة حقيقية وصحيحة في حد ذاتها بل نستطيع القول أنها بمثابة تجميع لكل مايصدر من الذات من شعور وحتى في طريقة التفكير أيضا.

ورغم أن برغسون تأثر بالفلسفة التطورية التي تزعمها سبنسر*وداروين* الا أنه وصل الى فلسفة تطورية من طراز خاص به وجديدة كل الجدة يقول عبد الرحمن بدوي " وفيه يتخذ مذهب التطور أساسا لاتجاهه الفلسفي لكنه على عكس التطوريين "[2]

يعني بذلك أن برغسون كان متأثر بمواقف وأفكار التطور عند الفلاسفة التطوريين أمثال داروين وسبنسر ،لكن لم يأخد بأفكارهم وتصوراتهم ،بل سعى الى إعادة تشكل وبناء أفكار التطور ولكن بشكل خاص ومختلف حيث كان تطورهم يفهم بشكل مادي ميكانيكي .

ومن هنا يمكننا أن نقول إن المذهب العلمي،و الفلسفة الوضعية في نحول نقطة أساسية وجوهرية تتمثل في فكرة الآلية،أو الحتمية التعيين أن لاشيء يحـــــدث بمعـــــزل عن سنن وقوانين ثابتـــــــة عامـــــــة، وأن الاحتمـــــــالات المختلفـــة، والحرية، لا وجود لها.

---

[1]هنري برغسون : المعطيات المباشرة للوعي ، المنظمة العربية للترجمة، ترجمة ،د: الحسين الزاوي ، مراجعة:د، جورج دكتورة،جميع الحقوق الترجمة العربية والنشر محفوظة حصرا ل:المنظمة العربية للترجمة ،ص153

[2]عبد الرحمن بدوي :الموسوعة الفلسفية : الجزء الاول طبعة،1 تاريخ النشر 1984ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص 334

وأهم مؤلف تناول فيه برغسون موضوع الحرية هو كتابه الشهير "**المعطيات المباشرة للشعور** والذي كان رسالته للدكتوراه تعبر في صميمها فلسفة في السيكولوجيا "**فالسيكلوجيا البرغسوئية إذن ليس موضوعها الإنسان من حيث هو كائن يفعل ويرغب ويريد ويحس في بيئة خارجية** "[1]

أي أن برغسون عند تقديمه وكتابته لرسالة الدكتوراه لموضوع الشعور ، كان موضوعه ينصب في علم النفس ، لكن طريقته كانت مختلفة تماما في فهم موضوع علم النفس ،أو مايسمى بالسيكولوجيا ، حيث أن برغسون أقر أن علم النفس لايجب أن يختص في دراسة الانسان على المستوى الخارجي فحسب ، أي إقتصاره على موضوعات مثل كيف يتأقلم مع البيئة او كيف يتعامل مع الغير ويؤثر على من حوله،بل موضوعه الإنسان وكيف يعيش واقعه وكيف يتم تشكل الرغبات والغرائز داخله وحتى موضوع الإرادة،فعلم النفس يدرس السلوك الخارجي وتجارب الانسان من الداخل أي انه يهتم بالأحاسيس والشعور الحي والزمن الداخلي وكذلك الوعي وكل هذا يجمعه في فلسفة سيكولوجية قائمة بذاتها شاملة وواسعة وليس في علم النفس العادي.

[1]غيوةفريدة ،الديمومة عند برغسون ،معهد العلوم الاجتماعية ،جامعة منتوري قسنطينة ص 37

الفصل الثاني: مفهوم الزمان والديمومة والحرية عند برغسون

المبحث الاول: مفهوم الزمان عند برغسون

المبحث الثاني: الحدس والحرية عند برغسون

المبحث الاول:مفهوم الزمان عند برغسون

من اهم المقولات الفلسفية التي شغلت الفكر الفلسفي وكان لها تأثير على مجرى الفكر العقلي والعلمي وعلى أساسها بنيت الحقائق المكتشفة نجد مقولة الزمان وإذا رجعنا الى الفلسفة المعاصرة لبرغسون فقد نظرت الى الزمان على أنه إمتداد في المكان لذا جاء هذا الفهم للزمان فهما لم يسمح بإحداث ثورة في الفلسفة المعاصرة لكن مع برغسون وبالتوازي مع فلسفته واتجاهه الروحي التطوري فإن النظر الى الزمان يجب أن يأخذ منحى يتكيف وطبيعة المكان الجديد ونقصد به ليس المكان الحسي المادي الخارجي بل النفسي الروحي

"وهذاهوالسبب الذي جعل برغسون يرفض كل التفسيرات التي تربط الزمان بالمكان، "[1]

بمعنى برغسون يرفض كل التفسيرات والتحليلات التي تتعلق بالزمان والمكان ويقر أن الشيء الخطأ يتمثل في التفكير بان الزما والمكان شيء واحد ومتشابهان وهدا الاعتقاد سوف يؤدي حتما الى عدم التميز بين المفاهيم ،وهذا الخطأ يكمن في تبني الثبات ، والزمان بطبعه يتميز بالتغير المستمر والدائم ،فكل هذه المفاهيم مثل الحرية والتغير والحركة تبنى وتنشاء عندما نعتقد ونتصرف مع الزمان بإعتباره شيء مادي مثل المكان .

لماذا حين نفكر في الزمان دائما نجد انفسنا نربطه بالمكان وندركه اول مرة بالعقل لم يكن اهتمام برغسون منصبا على الدخول في الجدال القديم والحديث حول ما ان كانت الافكار فطرية اولية وقبلية ام انها بعدية ومكتسبة من التجربة .. ولهدا بدا حذرا جدا في هدة المسالة وهو ما جعله في بعض الاحيان يرد السلوك الفطري الى الغريزة وفي احيان اخرى . يسميه علما طبيعيا او نزوعا طبيعيا وبصرف النظر عن هدا وذاك فاهتمام برغسون الرئيسي كان متجه صوب ابراز الطابع العلمي والنفعي للعقل الذي يمكنه من ادراك العلاقات وليس الاشياء والتركيز على الصورة وليس على المادة[2]

---

[1] غيوة فريدة :الديمومة عند برغسون ،معهد العلوم الاجتماعية ،جامعة منتوري قسنطينة ص 87

[2] هنري برغسون: التطور المبدع ،مصدر سابق ص132

من هذا المنطلق علينا ابراز مفهوم الزمان حتى يكون مدخلا لحليل مفهوم الحرية عند برغسون وبرغسون حين يناول فكرة الزمان اول يوضحه هو الفرقة بين نوعين من الزمان .

فالعقل بطبعه يعتبر هو من يصنع الافكار فهو ينتج كل الافكار .وهو كدلك ملكة لجميع التصورات . فهو يؤسس ويطمع دائما في تكوين و إنشاء الأفكار وتأسيس فكرة عن كل شيء.حتى ولو لم يكن هدا الشيء وهي الفكرة في متناوله فهو هكذا يكون قد انتقل الى مجال النظر والحياة .ومن هنا فقد يبدا في اثارة وصنع مشكلات زائفة. وكدلك احيانا قد يقع في تناقضات تعبر عنها المذاهب الفلسفية التي وجه اليها برغسون نقدا لاذعا. وخاصة تلك المذاهب التي تقر والقائلة بنسبية المعرفة. و السبب ويكمن في الاعتقاد الزائف بقدرة ومدى تأثير التصورات الجوفاء على إعادة تركيب وتعديل الواقع المتحرك. وفي دلك الحين فقط ينتقل الفيلسوف من التصورات الى الواقع . حيث يمكنه اقامة مذهب هو في النهاية يعتبر مجرد تركيب وتعديل شامخ لتصورات فارغة جوفاء .فعلى هدا الأساس فا ليس الفيلسوف هو من ينقطع عن رؤية الاشياء لكي يصبح يكتفي بالصور والافكار فقط. لان هدا يعتبر مجرد لعب ومزح ."والمذاهب الفلسفية المغلقة هي من قبيل الالعاب [1]

ويرد برغسون السبب في إقحام فكرة المكان أو الامتداد في صميم فكرة الزمان أو الا امتداد هو تغلغل التصورات الرياضية ، وخاصة فكرة العدد ، في مجال الفلسفة ، على يد دعاة علم النفس الفزيائي في محاولتهم الربط بين الإحساس والعدد . فهم يدللون على أن الإحساس هو مجموعة من الوحدات . فمثلا الإحساس بالضوء الشديد إنما ينجم عن إضافة مجموعة من الإحساسات السابقة بالظلام أو بالإضاءة التدريجية"إن هذا الربط حسب برغسون يولد داخل إدراكنا للحرية لأن مجال الحرية داخلي او ما يصطلح عنه بالديمومة بينما وضع كل تفكيرنا على اساس رياضي يحكمه مبدا الكم يطمس معنى الديمومة ولا يجعلنا ندرك حقيقة الحرية لأنها كيفية وكما يقول زكريا إبراهيم في كتابه "مشكلة الحرية"

[1] هنري برغسون، التطور المبدع ،مصدر سابق ، ص150

أننا بوضع الحرية في اطارها التأملي العقلي يجعلنا حبيسي المكان الرياضي ونبتعد عن كل تقدم ديناميكي تكون فيه الذات والبواعث نفسها في صيرورة دائمة الاستمرار وكيفية شعورية كموجودات حية وحقيقية[1]

*الزمان قسمان *

أولا : الزمان الخارجي ويصفه برغسون أنه زمان قابل للقياس له وحداه الخاص به كما هو معروف مثل الثانية والدقيقة والساعة وهو ما يشار اليه بالمدة وما دام قابلا للقياس فهو يعبر في جوهره عن معنى الكم وهو يناسب مع ادراك ما هو خارجي مثل الوجود الخارجي أو وجود الأشياء ولا يناسب مع إدراك ماهو داخلي الذي هو جزء من العالم الداخلي الروحي الشعوري والكم كما يصفه برغسون يمتاز بالتجزئة والتحليل وهي المفردات الي يعامل بها العقل لذالك يتناسب هذا الزمان مع طبيعة المعرفة العقلية لذلك العقل لما يفكر فطر أنه يتجه الى إدراك ماهو خارجي .

ثانيا : الزمان الداخلي هو نوع من الزمان له خصائص مختلفة تماما فهو لا يعبر عن الكم الخارجي إنه في صميمه عبارة عن كيف ويمتا بالخصائص التالية إنه غير قابل للقياس ولا للتجزئة دائم التغير كما يمتاز بالاتصال والتلقائي والحرية كما أنه ليس موضوعا يعاين في الخارج مثل الاشياء المدركة عن طريق العقل بل يتم حدسه داخليا لأنه في جوهره من طبيعة روحية وهو ما يسميه برغسون بالشعور او الديمومة اي الزمان الذي نعيشه من الداخل ولا صلة له بالزمان الخارجي المدرك عن طريق العقلإذن من المؤكد أن هناك تفرقة بين الزمان الروحي الذي محوره بالنسبة للشخصية ما يسميه برغسون بالأنا العميق وفي المقابل هناك الزمان الخارجي وهو زمان مكاني خارجي الاول باطني نفسي اما الثاني يمكن تسميته بالزمان الرياضي او الهندسي.

مفهوم الديمومة:الديمومة عند برغسون " هي الزمان ،فإنها أطلقت على الزمان المحدد سميت مدة ،وإذا أطلقت على الزمان الطويل الامد سميت دهرا "[2]

---

[1]زكريا إبراهيم مشكلة الحرية ،مرجع سابق ،ص21

[2]جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج:1 دار الكتاب اللبناني د،ط 1982 ،مادة الديمومة ص 571

بمعنى أن الديمومة تتعلق بمفهوم الزمن وهذا لايحيل إلى أن الزمن ككل بل يتعلق الامر بالزمان المتصل أي الزمن المستمر ،فالزمن القصير يمكن أن نسميه بالمدة ،أما الزمان الطويل فا يطلق عليه دهرا،فالدهر هو الامد المستمر والدائم فهو بمعنى اخر فهو الزمن الكلي فتصبح الديمومة تشير الى كونها الزمن المطلق فالديمومة عند" برغسون "" يميز برغسون في هذا السياق بين الزمان الفيزيائي والزمان الحي المباشر الذي يصفه بالديمومة"[1]

تعتبر في صميم فكره وفلسفته فهي المنطلق الاساسي لمعرفة الوجود والوعي ، فهو ميز بين نوعين من الزمن ،المتمثلة في الزمن الفيزيائي والزمن الحي أي الزمن الشعوري ويمثل الزمن الفيزيائي في الزمن القابل للقياس ويتميز بالتقسيم الكمي فهو بمثابة الفيزياء أما الزمن الحي يعرف بالديمومة وهو الزمن الذي لايقاس ولا يمكننا فصله إلى وحدات فهو الزمن الذي نحن عليه في وعينا الداخلي فهو يعتبر في تغير مستمر نعيش فيه لحظات جديدة وأحاسيس جديدة.

.يقول " إن كل تلخيص لنظرياتي من شأنه أن يشوهها في مجموعها ويعرضها في رأيي "[2]

أي أن برغسون شأنه لم يكن في الفصل بين المنهج والمذهب وكذلك بين الديمومة والرؤية الفلسفية بل كان شأنه الموضوع الذي يجب على كل فلسفة أن تدور حوله بمعنى أن كل ابعاده الفلسفية تصدر وتنبع من المعرفة والقيم وغيرها.

"فالديمومة بهذا المعنىهي نقيض الزمان الآلي،أعني أنها تمثل زمان الشعور"[3]

وهذا يحيلنا الى أن الديمومة ليست تمثيل بياني او تصوير على أرض الواقع مثل تصورنا للمستقيم والدائرة بل الديمومة تعرف بالتجربة الشعورية الواقعية التي نستطيع أن نعيشها في داخلنا وفي أحاسيسنا فبرغسون يرفض كل مايعود الزمان إلى مجرد أداة فيزيائية لان هذا الطرح يؤدي الى إهمال الزمان الشعوري .

---

[1] هنري برغسون،:البحث في المعطيات المباشرة للوعي مصدر سابق ص 216

[2] مراد وهبة : المذهب في فلسفة برغسون ، مرجع سابق ر ص 77

[3] غيوة فريدة : الديمومة عند برغسون ، مرجع سابق ص 88

"تعتبر الديمومة هي الزمان الشعوري او الزمان السيكولوجي فهو وحده يعتبر الزمان الحقيقي "[1]

بمعنى أن الديمومة تعتبر هي الزمن فهو يعاش بكل لحظاته في داخل الشعور والأحاسيس فهو لايمكن قياسه أو تجزئته ،فهو يعرف بالزمن الحقيقي ونجد ما يقابله وهو الزمن الالي فهو يعتبر وسيلة مهمة في الواقع والوعي وكذلك الابداع ،فلا نستطيع أن نعي وندرك الديمومة الا عن طريق الشعور فهي لاتقاس ولا تحسب ولكن يمكن التعمق والانغماس فيها،فهي في كيان كل مايتصف بالحياة والإبداع والتغير.

يتصف الزمان الباطني بأهم شيء وهو الديمومة أي الإستمرارية في صيرورة لاتعرف الإنقطاع"[2]

أي يعرف الزمن الباطني أو الزمن النفسي بالديمومة فهو زمن يتميز بالاستمرارية والتغير والتجدد الدائم فهو يعتبر تيار دائم لا يعرف الإنقطاع وهو كدلك غير قابل للاستنساخ أو الى إعادة التكرار فهو زمن يتعلق بالشعور ولايخضع لقوانين المكان .

لذلك يعتقد "غاستون باشلار" أن البرغسونية أبقت مكانا للتضامن بين الماضي والمستقبل"[3]

بمعنى ان يرى غاستون باشلار أن برغسون إعادة بناء التجربة الإنسانية وإعاد لها وحدتها الزمانية ويقوم ذلك من خلال الإقرار أن الماضي لايمت فهو حاضر وحي في الواقع ،ففي فلسفة برغسون لايمكنها أن تفصل الماضي عن الحاضر والعكس فهما يتميزان بالتكامل والترابط فلأول يكمل الأخر حيث يشكلان نسيج من الزمن الداخلي فالزمن عنده يتصف بالكمال والشمولية فا من خلاله يتشكل جوهر لروحي حي على عكس الرؤية العلمية الجافة .

إنه يعتقد أن" الوقائع المباشرة للوجدان "[1]

---

[1] يحي عويدي : مقدمة عامة في الفلسفة ن دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 9 .1989.ص 155

[2] مرجع سابق ص 153

[3] هنري برغسون :لمعطيات المباشرة للوعي ، مصدر سابق ص 153

أي أن في راي برغسون أن الحياة النفسية تعتبر مزيج من الظواهر المنفصلة فهي بمثابة تيار متواصل من الاحاسيس والشعور والتجارب المسبقة فهي تمثل تعبير عن الاشياء وهذه الاشياء تتمثل في الاصوات والالوان تعبر عن إيقاع معين

نستنتج ان الديمومة في هدا المعنى اصبحت تجعل من الصيرورة جوهر فلسفة برغسون فالروح في الطبيعة ليست شيء يحل محل شيء اخر وكل كائن حي يعتبر ويعبر عن جوهر زماني يتصف بالصيرورة والتي تعني تطور الكائن وانتقاله من مرحلة الى اخرى لكي يخضع الى حكم زماني معين ويمر بأطوار و يتألف منها تاريخ واحد متصل فيما بينه فالحقيقة الاولى هي الصيرورة لا الوجود والتغير لا الثبات ومادام الزمان هو نسيج الواقع فان التطور حقيقة ثابتة ، فصيرورة هي جوهر فلسفة برغسون فهي تعتبر الحقيقة الاساسية في هذا الكون .

المبحث الثاني الحدس والحرية عند برغسون

انطلاقا من النزعة الروحية فإن مفهوم الحرية هو مفهوم روحي فالحرية في صميمها حالة ضرورية وجزء من الديمومة أن فكرة الحرية تقوم على فكرة العلية الشعورية ، فنحن هنا لسنا بإزاء حرية سلبية تنحصر في تحقيق هذا الفعل أو الامتناع عن تحقيقه من غير أدنى أو أكتر ، بل نحن بصدد حرية ايجابية فيها يصدر الفعل عن ذاتنا العميقة على حد تعبير برغسون

"وهنا تكون الحرية بمثابة تلقائية روحية لا بيولوجية تعبر عن قدرتنا على الخلق أو الإبداع"[2]

بمعنى أن يميز الكاتب هنا بين التلقائية البيولوجية والتلقائية الروحية فهو يحيلنا الى أن الحرية لاتعتبر ليست القدرت على أن نصدر أو نقوم بفعل معين وتكون هذه الافعال دون قيود جسدية أو بيولوجية بل تكمن في استطاعة الانسان

[1] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ،دار المعارف القاهرة ن. ط5 ص 148

[2] زكريا إبراهيم: مشكلة الحرية ، ،مرجع سابق ،ص 21

على ان يبدع بدون تقييد لحريته أو لوعيه لأنها تنبع من الروح والعقل فتعتبر الحرية التلقائية الروحية هي في الابداع.

إن هذه التلقائية وباعتبارها جزء من الديمومة وليست موضوعا خارجيا يمنع على العقل او أي فلسفة وضعية أن تتكلم فيه لأنه ليس موضوعا خارجيا قابل للتحليل والبرهنة بل هي واقعة شعورية نستطيع حدسها من الداخل فقط كحالة شعور لذا ملاحقتها بالعقل غير مفيد بل ان طح الحرية بتحليل عقلي يوقفنا حسب برغسون إلى نفيها وليس إثباتها حيث أن طبيعة الحرية كحالة شعورية لا تتناسب كليا مع العقل وادواته التحليلية الاستدلالية بل تعريف الحرية يصبح مستحيلا لأنه كل تعاطي للحرية بالعقل يوقفنا على أننا امام فعل حتمي وليس فعلا حرا لأن عملنا الحاضر مبني عليه . وعلى ذلك فنحن نفكر في الانفصال لذاته وبذاته . ونتصوره بفعل إيجابي من أفعال الذهن ، على حين ان تصورنا العقلي للاتصال تصور سلبي لا غير، لأنه ليس في حقيقة الأمر سوى اعراض ذهننا ، أمام أي نظام للتقسيم موجود حاليا ، عن اعتبار هذا النظام وحده ممكنا

ان العقل لا يتصور بوضوح إلا المنفصل"[1]

أي أن أن العقل البشري يميل الى فهم ومعرفة الاشياء التي نستطيع فصل بعضها البعض والتميز بينها فالعقل البشري لايستطيع ان يعي الأشياء المتداخلة مع غيرها أو الغير واضحة .

وقد يكون برغسون محقا في قوله بأن كل تعريف للحرية لا بد أن ينتهى إلى تقوية حجة أنصار الجبرية : ذلك لأننا حينها نحاول أن نير من على الحرية بالبرهان العقلي التصوري ، فإننا لا بد أن تنتهي إلى إنكار وجودها . وهذا هو السبب في

" أن الحرية كثيرا ما تصبح قضية خاسرة حينما يتصدى للدفاع عنها فلاسفة عقليون يريدون أن يبرهنوا على وجودهبالدليل المنطقي"[2]

[1] هنري برغسون :التطور المبدع ، مصدر سابق ص 142

[2] زكريا ابراهيم :مشكلة الحرية مصدر سابق ص22

بمعنى أنيقدم الكاتب هنا نقدا لكيفية معالجة الحرية والمتمثلة في الطريقة العقلانية وهاته الطريقة تعتمد على البرهان المنطقي فالحرية موجودة عقليا ومنطقيا ونستطيع ان نثبتها بالحجج العقلية وبالمنطق المجرد .

وإذا كان متعذرا تصور الحرية بالعقل فإن محاولة ادراك الفعل الحر كما يرى برغسون هو ايضا متعذرا لأنه في هذه الحالة لن يكون الفعل الحر معبر عن الارادة العاقلة التي يمكن ان تعرف اسباب الفعل والبواعث الدافعة له إنه في حقيقته جزء لا يتجزأ من ديمومتنا وشخصيتنا.

"**وان العقل لا يتصور بوضوح إلا السكون**"[1]

أي أن يرى برغسون أن العقل لا يعي ولا يدرك بعض الاشياء بصورة واضحة ومباشرة خاصة الاشياء التي تتميز بالحركة والتغير بل يدرك الاشياء الثابتة والمستقرة والغير متغيرة والغير متحركة.

"**والواقع أن الفعل الحر كما يتصوره برغسون هو أولا وبالذات فعل مرتبط ارتباطا جوهريا بالزمان** "[2]

يعني ذلك ان حيث أن من البديهي أن الحرية لانستطيع فهمها إلا عن طريق الزمن الحي فالفعل الحر ينظر الى المستقبل ويتجه صوبه فالحرية لاتجعلنا نكرر قراراتنا الماضية بل تجعلنا نبدع .

ان الفعل الحر بالمعنى البرغسوني يفعل لا يتجانس وحركة وجوده مع طبيعة المكان الداخلي الذي نسميه بالديمومة والسبب هو ان من خصائص الديمومة كما قلنا سابقا الاتصال وليس الانفصال والنظرة العقلية تحيل الديمومة الى مجرد ركام كمي لا حياة فيه **إذن أن نقول:**

" أن العقل يتميز بقدرته اللانهائية على التقسيم، مها قانونه ، وعلى إعادة التركيب مها يكن نظامه "[3]

---

[1] هنري برغسون : التطور المبدع ،مصدر سابق ،ص 143

[2] زكريا ابراهيم : مشكلة الحرية ، مرجع سابق ص 22

[3] هنري برغسون: التطور مصدر سابق ،ص 144

أي برغسون يوضح لنا وظيفة العقل المتمثلة في التحليل والتفسير ويوضح أن العقل البشري يتميز بخاصية التقسيم وإعادة التركيب وتحليل الأشياء بمعنى أنه عند محاولته لفهم العالم والواقع يقوم بتفكيكه ليسهل فهمه .

بل تجبرنا النظرة العقلية التحليلية ان نحول الحياة الروحية الى ما يماثل الحياة في المكان الحسي الذي يجبرنا ان نجعل بين تصوراتنا للحياة الروحية نفس الفروق والشقوق كما هي بين الاشياء المادية حتى يستطيع العقل ادراكها والديمومة مختلفة تماما عن هذه الطبيعة .

"وحسبنا أن تنظر إلى ظاهرة الديمومة ، لكي تتحقق من أن الحتمية لا تسود حياتنا الإنسانية "[1]

هذا يعني أن هنا برغسون يقوم بنقد الحتمية أما قوله ظاهرة الديمومة فهو يتجه الى أن الديمومة تشير الى الزمن الحي الذي نعيشه فهو زمن لايمكن قياسه مثل الأشياء التي تقاس فهو يتمثل في زمن الابداع .

إن الحرية كما جاء سابقا حين تعالج بالعقل تتحول الى قضية خاسرة السبب أن تعاطي العقل لمشكلة الحرية يجب ان يكون على أساس مبادئه فهل يمكن ان نصل الى مفهوم الحرية بمبادئ الحرية والسببية التي هي في الأصل تقوي انصار الجبرية النافية مطلقا للحرية.

"والصفة التي يتميز بها العقل عجزه الطبيعي عن تفهم الحياة"[2]

بمعنى أن العقل البشري في الكثير من الاحيان يعجز عن فهم الواقع كما نعيشه بالفعل فهو عاجز عن إدراك الواقع في حقيقته

إن نسيج الديمومة يقاوم اي تعاطي للتحليل العقلي لأنه ديمومة يجب ان تدرك كيفا ودفعة واحدة ولا مجال لتجزئتها كون التجزءة ميزة المكان الحسي الخارجي "

"ان العقل لم يخلق فقط للتفكير في التطور بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة، أعني الاتصال في التغير الذي هو حراك محض"[3]

---

[1] زكريا ابراهيم : مشكلة الحرية ،مرجع سابق ،ص 134

[2] هنري برغسون :التطور المبدع مصدر سابق ص 151

[3] هنري برغسون : ،التطور المبدع مصدر سابق ، ص 149

وهذا يحيلنا إلى أن يرى برغسون أن العقل لايقتصر فقط على وعي التطور الحياة بل العقل خلق لغرض التعامل مع الأشياء المنفصلة والثابتة والمقصود هنا بالاتصال في التغير هو كون الواقع لايمثل سلسلة من اللحظات المنفصلة ولكن في حقيقة الامر هو في استمرار متعاقب .

ثم أن التجزءة تقتل الديمومة لأنها تمتاز بالاستمرار إن أي توقف للديمومة هو حتما قتل لها

"وما من نسيج هو مع ذلك أشد مقاومة وأكثر جوهرية، ذلك لأن ديمومتنا ليست أنا من الزمان يحل محل آن آخر، "[1]

بمعنى أن الديمومة تعتبر الزمن الحي وهي عبارة عن شيء أساسي ومهم في حياتنا اليومية فلا يمكننا أن نختزلها او نقصيها فالزمن هو في سيرورة متصلة ببعضها البعض فلا يمكننا نلغيها او نقطعها.

فالحرية كتلقائية شعورية في الديمومة تمتا بالانفتاح على المستقبل الذي لا قدرة لنا على التنبؤ بأفعاله فهذه التلقائية التي هي صفة للديمومة يجيئ من خلالها الفعل الحر ليس مماثلا للأفعال العادية القابلة للتكرار بل هو جديد كل الجدة إنه خلق وابداع يعبر بصورة حيوية عن كامل كينونتنا وشخصيتنا

" وحسبنا أن نقرر أن الحرية التي يدعو إليها أنصار هذا الرأى هي بمثابة العلامة المميزة للروح ،"[2]

أي أن فهو يتكلم على الحرية الداخلية التي هي مزيج من الذات والفعل الدي يصدر من الذات لا الحرية الظاهرية ،فأفعال الانسان تصدر من شخصيته ولا تصدر من خلال تأثير خارجي فتصبح هنا أفعاله أكثر حريتا.

لكن السؤال الذي يجب طرحه والاجابة عنه هل بإمكاننا والفعل الحر بهذا التصور أن نعرف الحرية ، الحقيقة وحسب التصور البرغسوني أن كل محاولة لتعريف الحرية محاولة فاشلة لأن نجاحنا في تعريف الحرية تعرفا واضحا لا يحمل الا معنى واحد هو اننا استبدلنا طبيعة الفعل الحر ونقلناها من صورتها الروحية الى

[1] هنري برغسون :التطور المبدع مصدر سابق ،ص 10

[2] زكريا ابراهيم ،مشكلة الحرية ، مرجع سابق ص21

مجرد فعل خارجي قابل للملاحظة والتحديد وهو عينه الفشل وهو ما عبرنا عنه بأنه يحول الحرية الى قضية خاسرة لأنه من السهل جدا تعريف ماهو خارجي يتم في المكان الحسي والسبب هو ان هذه الموضوعات مجالا للإدراك العقلي وكل ما يدرك بالعقل نجد الاقرار بكونه يمثل الحقيقة امر

"سهل يمكننا الأن أن تتساءل عما إذا كان في استطاعتنا أن نجد تعريفا واحدا مكانا يصدق على كل تلك الأنواع المختلفة من الحرية .[1]

يعني هذا ان الحرية في جوهرها لاتنفصل عن الإنسان ولكن تعتبر تجربة داخلية نستطيع ممارستها ونستطيع أن نعيشها فالحرية تفهم في داخلها أو في صميمها وهذا عن طريق الحدس .

أن ننجح في تقديم تعريف للحرية إنه من المستحيل حسب برغسون لأن التعريف ذاته معناه ضبط خصائص المعرف من اجل تمييزه عن غيره وكل ذلك يتم عن طريق العقل وباستعمال اللغة فإذا كانت الديمومة فكر وذاكرة خالصة و اللغة لا تقوى على التعبير على الديمومة و الديمومة مجالها متصل و كيفي و غير قابل للتجزئة او التقسيم كما تم وصفها سابقا و مجالها الوحيد الذات او الأنا الذي يوجد دفعة واحدة و أي مجال لإيقاف الديمومة عن طريق الإنفصال التي تحمله خصائص اللغة كونها ألفاظ و كل لفظ متصل عن الآخر ،

ثم إن نشأت هذه اللغة ليس داخلي أو باطني كحال الديمومة بل ذات مصدر خارجي إجتماعي ، تتحرك ضمن الإستعمال العقلي ، تؤدي في النهاية الى قبر كل التصورات و المعاني الخاصة بالفعل الحر ، و العقل حينما يستعمل اللغة في التعريف من أجل التعبير عن أنفسنا إضطراب بألفاظ و يجعلنا نفكر في أغلب الأحيان تفكيرا مكانيا ، بعبارة أخرى ، الإستعمال العقلي للغة يرغمنا على أن نجعل من أفكارنا نفس الشقوق و الفوارق الدقيقة التي توجد بين الأشياء المادية ، الأمر الذي يوصلنا في الأخير الى أننا حين نتكلم نحيل الحياة الوجدانية الى رماد كمي ."

[1] زكريا ابراهيم :مشكلة الحرية ، مرجع سابق ، ص ،21

"فما الحرية بشيء يمكن تحديد وجوده ، بل هي في الحقيقة إثبات للشخصية وتقرير لوجود الإنسان "[1]

بمعنى الحرية ليست مثل الاشياء المادية بل هي يمكن تحليلها كما نحلل الاشياء فالحرية تعتبر تجربة داخلية نعيشها فهي تقوم بتثبيت شخصية الانسان فهي تعبر عن حقيقة الانسان وكيانه.

من هذا التحليل علينا الاقرار بأن فلسفة برغسون لا تلبث بأن تقر مجددا بأن الحرية كحالة شعورية وديمومة خالصة بعيد كل البعد عن ملامسة الاستدلال المنطقي العقلي لذا

" كل تعريف للحرية لا بد أن ينتهى إلى تقوية حجة أنصار الجبرية »[2]

يعني أن الحرية ليست فكرة عقلية جامدة كما يراها الوجوديون بل الحرية تعتبر تجربة حية فالعقل يسعى الى البحث عن العلاقات السببية وغيرها

وإذا كان من المستحيل تعريف الحرية فأيضا من المستحيل التنبؤ بالفعل الحر حتى بالنسبة الى الذات نفسها لأن التنبؤ صفة للفكر العلمي الذي يتم في المكان وسمة الموضوعات الخارجية بينما الفعل الحر يتم في الديمومة لا قدرة لنا بتعريفه ولا حتى التنبؤ به .

---

(1) [1]زكريا ابراهيم :مشكلة الحرية ،مرجع سابق ص22

[2]المرجع نفسه ،ص 23

الخاتمة

ومن خلال دراسة وعلى ضوءه توصلنا الى النتائج التالية أن مفهوم الحرية عند هنري برغسون قد شكلت لنا ثورة فلسفية عند تناوله المسألة وقد طرأ عنها ردة فعل مما ادى الى اشتغال الفكر البشري حيث أنها مسألة قد تؤدي الى الابتعاد عن التصورات العقلانية المجردة التي هي بدوره قامت باختزال الحرية في الاختيار الواعي أو في التمرد على الحتمية حيث أنها تبنى على ضوء التجربة أوإنطلاقا من التجربة الداخلية للزمن .

وكذلك تبنى أيضا على الوعي فنجد أن الحرية عند هنري برغسون وفي فلسفته لانستطيع فهمها لأنها تتسم بالصعوبة والتعقيد واذا أردنا أن نفهمها فاءننا نلجئ الى الزمن النفسي المتدفق باستمرار حيث أننا نجد الذات تتجلى في وحدتها وحيويتها وكذلك في استمراريتها وهذا الامر لايتعلق بالحرية السطحية والمرتبطة بردود الافعال أو تتعلق بالتفضيلات اللحظية بل الامر مرتبط أشد ارتباطا بالحرية العميقة وهي تتجدر في ما يطلق عليه هنري برغسون بالذات الحقة . أي الذات التى تتخطى القوالب الاجتماعية والتقاليد الذهنية ليتم التعبير عن نفسها بشكل يتميز بالعفوية والابداع

وكل هذا يحيل الى أن الحرية عند برغسون عبارة عن عملية داخلية تتصف بالعمق والتعقيد وكذلك تتطلب تفسيرا وتحليل وفهم الذات حيث يمكننا وصفها بالكينونة المتطورة حيث أنها لا تقبل التجميد في لحظات منفصلة وغير مرتبطة أو في أحكام قبلية مسبقة فهي ليست بمفهوم القدرة على اتخاد القرار والتنفيد إنما هي انبثاق للذات الحية في لحظة تتجاوز الانفصال بين الفكر والفعل وكذلك بين الماضي والمستقبل

وهذا يحيلنا الى أن الحرية في نظر برغسون هي مرتبطة ارتباطا وثيق بالإبداع ومرتبطة بالروح وكذلك بالقدرة على الابتعاد والانفلات من كل أنماط السلوك الألي الذي هي وليدت العادات اليومية والواقع الاجتماعي ومنه فاءا هدا التصور للحرية عند هنري برغسون يضعنا أمام مسؤولية وجودية وهذه المسؤولية تتمثل في أن نكون أحرار هذا يعني أن نصبح أ كثر أصالة وأكثر تناغما مع ذواتنا الحقيقية وكذلك أأكثر تحمل وقدرة على مقاومة الضغط الاجتماعي والتكرار

الميكانيكي وهذا الطرح يجعل من الحرية أن تصبح ليست فقط مسألة فلسفية بل هي دعوة الى نمط معين من الحياة فهي حياة تفيض بالحيوية و التجدد الدائم والانفتاح الدائم وهذا ما يؤدي الى جعل الحرية تفكيرا في الانسان وفي طبيعته وكينونته وكذلك مصيره في قدرته واستطاعته على الخلق والتجاوز وفي امكانيته من جعل الذات فاعلة لا مفعول بها في مجرى الوجود

قائمة المصادر

أولا:المصادر:

1) هنري برغسون المعطيات المباشرة للوعي ، المنظمة العربية للترجمة ، ترجمة د: الحسين الزاوي ،مراجعة د: جورج كتورة ، جميع الحقوف والترجمة العربية والنشر محفوظة حصرا

2) هنري برغسون التطور المبدع ، ترجمة جميل صليبا اللجنة اللبنانية ، لترجمة الروائع بيروث 1981

ثانيا: المراجع:

1) زكريا ابراهيم ،مشكلة الحرية ، مكتبة مصر ، دار الطباعة الحديثة

2) هنري برغسون الطاقة الروحية ، جميع الحقوق محفوظة ،الطبعة الاولى 1991-1411 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت

3) هنري برغسون منبعا الاخلاق والدين ترجمة الدكتور سامي الدروبي ،عبد الله الائم، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر 1971

4) سامي الدروبي الاعمال الفلسفية الكاملة ،تصدير م:محمد عناني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2008

5) مراد وهبة المذهب في فلسفة برغسون، منتدى سور الازبكية، دار وهدان للطباعة والنشر ،الطبعة الثانية 1978

6) إ.مبوشنكي الفلسفة المعاصرة في أروبا ،ترجمة: د،عزت قرني ، عالم المعرف صدرت في يناير 1978

7) فريدة غيوة الديمومة عند برغسون ، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة منتوري ،قسنطينة العدد 10 سنة 1998

ثالثا : المعاجم والموسوعات

1)عبد الرحنبدوي ، الموسوعة الفلسفية الجزء الاول ،الطبعة 1 تاريخ النشر 1984 المؤسسة العربية للدراسات والنشر

1)جميل ،صليبا : المعجم الفلسفي ، ج1،دار الكتاب اللبناني د،ط لبنـــان ، 1982

فهرس المحتويات

*فهرس المحتويات *

المحتوى	الصفحة
مقدمة	ب
الفصل الاول: العوامل المساهمة في نشأة الفلسفة البرغسونية	2
المبحث الاول: موقف برغسون من العقل والمعرفة العلمية	3
المبحث الثاني: موقف برغسون من الوضعية والتطورية	7
الفصل الثاني: مفهوم الزمان والديمومة والحرية عند برغسون	14
المبحث الاول: مفهوم الزمان عند برغسون	14
المبحث الثاني: الحدس والحرية عند برغسون	19
الخاتمة	35
قائمة المصادر والمراجع	37
فهرس المحتويات	39
الملخص	40

الملخص

تناولت الدراسة إشكالية مفهوم الحرية في فلسفة برغسون والمتمثلة في التحرر من سلطة العلم والمجتمع واللغة ، باعتبار أن الحرية لدى برغسون لايمكن أن تكون حقيقة إلا إذا بدأت بالتحرر من مقتضيات الحياة العلمية .وإذا كان التحرر يفرض أن نبذل الجهد وأن نتحول عن ميلنا الطبيعي ،فإن ذلك يعني أنه فعل إيجابي إرادي ، إنه إذن حرية إيجابية وليس موقف سلبيا،يتمحور مفهوم الحرية عند هنري برغسون حول عدة نقاط أساسية حيث طرح رؤية مغايرة في مفهوم الحرية ،فوفق اعتقاده ،فإن النظريات والافكار التي تناولت مشكلة الحرية في زمنه ،لم تقدم الوصف الدقيق لها ،بل زادت من الالتباسات لكل من الديمومة مع الامتداد ،والتتابع مع التزامن .

الكلمات المفتاحية

الحرية ، الديمومة، الزمان، العقل، الحدس ،الزمان ،هنري برغسون .

Abstract*

The study dealt with the problem of the concept of freedom by henribergson represented by liberation from the authority of science society and language for bergson freedom can only be true if it begins with liberation from the demands of practical life. Lf this liberation requires us to exert effort and deviate from our natural inclinations then it is a positive voluntary act .is therefore positive freedom not a negative stance. henribergson ‘s concept of freedom revolves around several fundamental points presenting a different vision of freedom according to bergson the theories and ideas that addressed the problem of freedom in his time did not provide an accurate description of it but rather increased the confusion surrounding continuhty and extension succession and simultaneity and quality and quantity .